تعريف الوحي لغةً و اصطلاحاً

أولا : الوحي لغة :

قال الراغب الأصفهاني : (**أصل الوحي الإشارة السريعة ، و لتضمن السرعة ، (أي سريع) و قد يكون بصوت مجرد عن التركيب، و بإشارة بعض الجوارح، و بالكتابة**).

و قد ذهب ابن فارس في (مقاييس اللغة) : حيث قال (**الوحي أصل يدل على إلقاء علم في خفاء إلى غيرك فالوحي : الإشارة و الوحي : الكتابة و الرسالة و كل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه ، فهو وحي كيف كان .... و الوحي : السريع**)

ومن خلال هذه التعاريف عند علماء اللغة نجد أن كلمة (الوحي) تدل على الأعلام بخفاء بطريقة من الطرق .

ثانيا :الوحي في اصطلاح :

(**واصل الوحي هو : الإشارة السريعة على سبيل الرمز و التعريض ، وما جرى مجرى الإيماء و التنبيه على الشيء من غير ان يقصح**). او (الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لإعلامهم ألوان الهداية و العلم) و إنما جاء تعبير الوحي عن هذه الطريقة باعتبارها خفية عن الأخرين ولذا عبّر الله تعالى عن إتصاله برسوله الكريم بالوحي ، قال سبحانه: ((**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**)) وحين سمي الدين هذا الضرب من الإعلام الخفي السريع (وحياً) لم يبتعد عن المعنى اللغوي الأصلي لمادة الوحي و الإيحاء ؛ **و له ثلاثة معاني :**

أ- الإلهام الفطري للإنسان كقوله تعالى: *وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ* (وهو شعور في الباطن ، يحس به الإنسان إحساسا يخفى عليه مصدره أحيانا ، و أحيانا يلهم أنه من الله . و قد يكون من غيره تعالى . وهذا المعنى هو المعروف عند الروحيين بظاهرة " **التلباتي** : " التخاطر من بعيد " و هو خطور باطني آني لا يعرف مصدرهُ) و الوحي هنا (القاء الله في قلبها . قال : و ما بعد هذا يدل – والله أعلم – على انه وحي من الله على جهة الإعلام للضمان لها "إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ * ....).

ب– والإلهام الغريزي للحيوان كالذي في قوله تعالى: *وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ*.

(فهي تنتج وفق فطرتها ، و تستوحي من باطن غريزتها مذللة لما أودع فيها من غريزة العمل المنتظم ، و من ثم فهي لا تحيد عن تلك السبيل).

جـ – و منه الإشارة السريعة على سبيل الرمز و الإيماء كما في قوله تعالى عن زكريا: *فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً* و المعروف إن زكريا عليه السلام (أشار إليهم أشارةً وحيّةً سريعة و لم يتكلم).

صور الوحي الإلهي

ظاهرة الوحي الإلهي هي ظاهرة روحانية متجلية يحس بها الأنبياء و يشعرون بها . و هي مرئية و مسموعة لديهم . إما عند غيرهم فلا توجد هذه الإحساسات و نقصد بها البشر . فهي تأبى الخضوع لمقاييس الحس الظاهرة . فما أتفق منذ بداية نزول الوحي الإلهي إلى هذا العصر ان سمع أصحاب النبي صوته و لا حدث ان رأوا عين الوحي ولكن نحن نؤمن بالوحي الإلهي الذي نزل على قلب الرسول و على الأنبياء السابقين من الأمم الغابرة .

وهذا الإيمان جاء عن طريق الأنبياء الملموسة قد صرح بها القرآن الكريم في كثير من الآيات المباركة و هي تخاطب العقول والقلوب *وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* و كذلك عن طريق الوصف من لدى الرسول و كذلك عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حين ذهب في نهج البلاغة في أحد خطبه يقول (**بأبي أنت و أمي يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة و الأنباء و أخبار السماء**) و يقصد الوحي المحمدي الإلهي .

إذن (يقف الوحي على رأس الأبحاث الحساسة التي تتكئ عليها مسألة النبوة العامة فهو أساس النبوات و التكاليف و الشرائع السماوية ، بل هو الطريق الوحيد الذي تتصل من خلاله الإنسانية لتلقي إخبار السماء و عالم الغيب). أذن هذا الاتصال له إشكال متعددة و الذي نحن بصدده هو كيفية اتصال الله سبحانه و تعالى بمن يريدهم و يصطفيهم من الناس و هي على إشكال صور ثلاثة:-

الصورة الأولى : (إلقاء المعنى في قلب النبي محمد ﷺ او النفث في روعه بحيث يحسب بأنه تلقاه عن الله تعالى كما قال عليه السلام (ان روح القدس نفث في روعه .....).

الصورة الثانية : (تكليم الله النبي من وراء الحجاب كما نادى الله موسى من وراء الشجرة فسمع نداءه *وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً*....) .

الصورة الثالثة : (و يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء . كما في تبليغ جبرائيل لرسول الله في صورة معينة أو صور متعددة ، وحي القرآن الكريم عن الله ، من غير ان يكلم الله نبيَّه على النحو الذي كلم به موسى عليه السلام).

و على هذه الأنحاء الثلاثة : إلهاما و تكليماً ، و إرسال ملك ' *وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*...).

و بعد هذا كله نجد ان الوحي ينزل على قلب النبي (في الليل الدامس و النهار الاضحيان ، و في البرد القارس أو لظى الهجير ، و في استجمام الحضر أو أثناء السفر ، و في هداة السوق أو وطيس الحرب ، وحتى في الإسراء إلى المسجد الأقصى و العروج إلى السماوات العلى) .

فبهذا تطلقت الآية الكريمة: *وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ*

و بعد أن بينا ان الوحي هو حقيقة موجودة بحيث كان ينزل على قلب الأنبياء والمرسلين و في صور مختلفة ، كذلك من خلال النزول على قلب الرسول محمد ﷺ وكيف يأتيه ، و انه كان بالوعي الكامل بحيث لم يخلط بين الشخصية الإنسانية المأمورة المتلقية و شخصية الوحي الأمره المتعالية . لأن الإنسان كما هو في وجوده جانباً جسمانياً وجانباً روحانياً ، أي : مادياً ، هو جسم الإنسان و معنوياً هو الروح

فهو واع انه إنسان ضعيف بين يدي الله ، يخشى ان يحول الله بينه و بين قلبه ، فلهذه جاءت الآية المباركة بشرح تفاصيل هذه الصور الثلاث

إنكار نظرية الوحي النفسي

ان ظاهرة الوحي من الظواهر الجوهرية للعقيدة الإسلامية التي أكد عليها القرآن الكريم في كثير من الآيات لأنها ارتبطت بالنبوة و على صدق الرسالة وعلى هذا الأساس فمن مقومات التصديق بالنبوة هي حقيقة المصدر الإلهي ، فإذا اثبت هذا المصدر ثبتت النبوة ، لهذا نرى المستشرقين و منذ بداية الحركة الاستشراقية في الجزيرة العربية التي انطلقت في بداية العصور الوسطى الأوربية بدراسة الوحي و لإيجاد تفسير مناسب لهذه الظاهرة التي اعتمد عليها الدين الإسلامي من ناحية الصدق الإلهي ، فكانت التوجهات الاستشراقية الهادفة إلى أبعاد الوحي عن مصدره الإلهي و جعله مرتبطاً بالنبوة أي أنه نابع من محمد ﷺ و هذا ما تريده الكنيسة المسيحية . (**كان الفرنسيون إلى القرن السادس عشر كجميع الأمم المتدينة يقولون بالوحي ، و كانت كتبهم مشحونة بأخبار الأنبياء فلما جاء العلم الجديد يشكوكه و مابياته ذهبت الفلسفة الغربية إلى ان مسألة الوحي هي من بقايا الخرافات القديمة ، و تغالت حتى أنكرت الخالق الروح معاً ، و عللت ما ورد عن الوحي في الكتب القديمة بأنه اما اختلاف من**

المتنبئة أنفسهم لجذب الناس إليهم و تسخيرهم لمشيئتهم و أما هذيان مرضي يعترى بعض العصبيين ، فيخيل إليهم أنهم يرون أشباحاً تكلمهم و هم لا يرون في الواقع شيئاً).

فلهذا كانت التطورات الأولى مختلفة و مغايرة للواقع الحقيقي و لعدم وجود المعلومات الكافية لمنطلقاتهم الكاذبة التي هي بعيدة ، عن البحث العلمي البنّاء و الحقيقة النظرية الوحي النفسي او المحمدي لم تطرح عند المستشرقين برؤيا واحدة بل حملت كتاباتهم رؤى متعددة خلال العصور الحديثة و منها :

اولاً : فهذا (مونتجمري وات) يهاجم شخصية النبي محمد ﷺ بأنه يخادع المسلمين في قضية الوحي حينما يقول : **(أن محمداً لم يكن يؤمن بما يوحي إليه و انه لم يتلقّ الوحي من مصدر خارجي عنه ، بل انه ألف الآيات عن قصد ثم أعلنها للناس بصورة خدعهم بها و جعلهم يتبعونه ، فضمن لنفسه بذلك من السلطة ما يرضي طموحه و حبه للمتعة).** ولكن هذا القول غير منطقي و لا يتحمل الرد عليه لأنه لا توجد أدلة عقلية عليه لأنهم يريدون ان يصلوا إلى القول بنظرية الوحي النفسي و هي (الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية).

و معنى هذا ان الرسول محمداً ﷺ كان له الوحي النفسي بما يشبه الإلهام الروحي أي لم يكن عنده وحيٌ خارجيٌ منزلٌ عليه من الله سبحانه و تعالى و إنما هو من داخل النفس يشبه الإلهام لهذا نرى المستشرق الألماني الدكتور تولدكة عام 1930 قد فرق بين الوحي و الإلهام فقال : (**ان الوحي خاصٌ بالأنبياء و المرسلين ، والإلهام خاص بالأولياء اذ لا يوحى إليهم ... و ان مصدر الإلهام باطني ، و ان مصدر الوحي خارجي ، بل الإلهام من الكشف المعنوي ، و الوحي من الواقع الشهودي ، لأن الوحي انما يتحصل بشهود الملك و سماع كلامه ، اما الإلهام فيشرق على الإنسان من غير واسطة مالك ، فالإلهام أعم من الوحي ؟ لأن الوحي مشروط بالتبليغ ، و لا يشترط ذلك في الإلهام . و الإلهام ليس شيئاً يحصل به العلم لعامة الخلق ، و يصلح للبرهان و الإلزام ، و إنما هو كشف باطني ، أو حدس ، يحصل به العلم للإنسان في حق نفسه لا على وجه اليقين و القطع ، كما هي في الوحي ، بل على أساس الاحتمال الاقناعي).**

(فالوحي هو حالة فريدة مخالفة لا تخضع إلى التجربة او التفكير ، و متيقنة لا مجال معها للشك . مضافاً إلى ان حالات الكشف و الإلهام و الإيحاء النفسي حالات لا شعورية و لا إرادية ، و الوحي ظاهرة شعورية تتسم بالوعي و الإدراك التامين ، و الوحي ... يختص بالأنبياء، و ليس الالهام او الكشف كذلك فهما عامان و شائعان بين الناس)

وبعد كل ما قدمنا من توضيح الفرق بين الوحي و الإلهام نجزم بأن الرسول محمداً ﷺ كان له وحي يوحى من قبل الله تعالى . لأن الإنسان مخلوق من جانبين أحدهما مادي و هو الجسم و الثاني معنوي أي روحي فلا غرابة من اتصال الروح بالعالم الروحاني و هو اتصال خفي الأمر

الذي يكون ظاهرة الوحي لدى الأنبياء و المرسلين . وقد ذكر الله سبحانه و تعالى كثيراً من الآيات القرآنية الدالة على ذلك الاتصال و كذلك رحلة الإسراء والمعراج التي دلت على صحة عملية إرسال الملائكة إلى الأنبياء . قال تعالى: *إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً*.

ثانياً : و قد ذهب المستشرقون إلى القول ان الوحي المحمدي نوع من الصرع ينتابه إثناء نزول الوحي، وكان دليلهم القول لديهم ما سمعوهُ من بعض الروايات التي تصف الرسول محمد ﷺ أثناء نزول الوحي و منها ما ذكره عبد الله بن عمر حين قال : (**قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي ، قال : نعم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك و ما من مرة يوحى إلى إلا ظننت ان نفسي تفيض مني**).

أن هذه الأعراض الخارجية التي يعرفها المستشرقين و التي من خلالها يتصورون ان الرسول حينما تصيبه كان يغيب عن وعيه و يسيل العرق منه فإذا أفاق من هذه الغيبوبة ذكر انه أوحي إليه و هذا بمثابة إعراض مرض الصرع عندهم .

ولكن المستشرق (السير وليم موئير 1905 م) قد فند هذا الباحث المحايد مزاعم الجهلة الحاقدين بقوله : (**و تصوير ما كان يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلمية أفحش الخطأ.فنوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مرّ به أثنائها، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئاً مما صنع او حل به خلالها ، لأن حركة الشعور و التفكير تتعطل فيه تمام العطل ، هذه إعراض الصرع كما يثبتها العلم ، و لم يكن ذلك ما يصيب النبي ﷺ إثناء الوحي ، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الإثناء لا عهد للناس به ، يذكر بدقة – غاية الدقة – ما يتلقاه ، و ما يتلوه بعد ذلك على أصحابه ، ثم نزول الوحي لم يكن يقترن حتماً بالغيبوبة الحسية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبه ، بل كثيراً ما يحدث و النبي في تمام يقظته العادية**).

كذلك هنالك كثير من الأدلة على صحة الرسول من الناحية العقلية و النفسية و القلبية عن طريق الأحاديث و أقوال الباحثين و العلماء المسلمين و منها **قول الأمام العسكري** عليه السلام : (**ان الله وجد قلب محمد ﷺ أفضل القلوب و أوعاها فاختاره لنبوته ...**).

ثالثاً : كذلك نرى المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون) حين يذهب إلى نفي تهمة الصرع عن النبي و لكنه في نفس الوقت يصف الوحي المحمدي بالهوس ، حيث يقول : (و قيل ان محمداً

كان مصاباً بالصرع و لم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي . و كل ما في الأمر هو ما رواه معاصرو محمد ﷺ انه كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان وجهي فغشيان ، و إذا عَدَدْتَ هوس محمد ككل مفتون وجدته صحيحاً سليم الفكر و يجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح و ذلك كأكثر مؤسسي الديانات فأهل الهوس وحدهم هم ينشئون الديانات) .

ان هذا القول للمستشرق الفرنسي غير دقيق و منطقي و يفتقر للياقة ، لأنه لم يقرأ القرآن الكريم ولم ينتبه لأن الرسول الأعظم قد (بُهِتَ العرب إمام ظاهرة الوحي القرآني ، وهم أرباب الفصاحة و البلاغة و ائمة البيان و الفن القولي ، تذرعوا للتشكيك فيها بمختلف الوسائل).

و لو رأينا قوله (قل) (**حيث تكررت أكثر من ثلاث مئة مرة في القرآن الكريم ليكون القارئ على ذكر من أن محمداً ﷺ لا دخل له في الوحي فلا يصوغه بلفظه ، و لا يلقيه بكلامه ، و أنما يلقى إليه الخطاب القاءاً فهو مخاطب لا مستلم ،حاك ما يسمعه،لا معبر عن شيء يجول في نفسه**) . الله سبحانه و تعالى يقول: ***تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ***

وبعد كل ما قدمناه من أدلة نجزم أن الرسول محمداً ﷺ كان خالياً من أي اضطرابات نفسية و عقلية و إنما هو رسولٌ متلقٍ من الله تعالى منفذ لأمره و ليس كما يدعون من أقاويل ضالة غير حقيقية و مبتغاهم الوصول إلى النظرية المنكرة وهي الوحي النفسي .